إضاءات على رباعيات الشاعر أنور العطار

د. نزار بني المرجة(*)

أنور العطار.. موجزٌ من سيرته الذاتية:

- ولد الشاعر أنور العطار في دمشق في العام ١٩١٣

- تلقى علومه الابتدائية في بَعْلَبَكْ، ثم في مكتب عنبر بدمشق، ونال بعدها شهادة أهلية التعليم الثانوي وعمل مديرًا لمدرسة منين في ريف دمشق، وانتقل بعدها للتدريس في مدارس دمشق في العام ١٩٢٩.

- تخرج في (مدرسة الأدب العربي العليا) في المعهد العلمي في دمشق في العام ١٩٣٢

- شارك في تأسيس المجمع الأدبي في دمشق في العام ١٩٣٤

- تخرج من قسم اللغة العربية في الجامعة السورية، وكانت شهادته تحمل الرقم / ٥/ في العام ١٩٣٥

- تم ندبه لتدريس الأدب العربي في المعاهد العليا في العراق في العام ١٩٣٦، وذلك في بغداد والموصل، ومنحته الحكومة العراقية لقب (مواطن شرف).

(*) ألقى الدكتور نزار بني المرجة هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات في المجمع بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠٢٤م.

- انتقل للتدريس في المملكة العربية السعودية في جامعة الرياض بين العامين ١٩٦٤-١٩٦٦، وعاد بعدها إلى دمشق حيث وافته المنية بعد مرض طويل في العام ١٩٧٢.

- طُبع ديوانه الأول (ظلال الأيام) في العام ١٩٤٨، واستقبله الرئيس الراحل شكري القوتلي حيث أهدى إليه النسخة الأولى، ولقي ذلك الديوان اهتمامًا لافتًا من الأدباء والشعراء، لدرجة أن وزير المعارف آنذاك الأستاذ محمد كرد علي عمم على مديريات المعارف والمدارس السورية لاقتناء ذلك الديوان الأول المطبوع للشاعر الراحل أنور العطار.

- وكان الشاعر قد أبدع قبلها بكثير عددًا من الدواوين الشعرية التي بقيت مخطوطة لسنوات طويلة، وبعضها طبع بعد وفاته بمبادرة من نجليه الأديبين الشاعر هشام العطار رحمه الله، والأستاذ هاني العطار.

- (البواكير) ويعود إلى العام ١٩٣٠

- (منعطف النهر) ويعود إلى العام ١٩٣٠

- (ليل البلبل المسحور) ويعود إلى العام ١٩٣١

- (ربيع بلا أحبة)

- (مع الشعر أحيا)

- وكان ديوان (علمتني الحياة) آخر ما أنجزه الشاعر الكبير قبل رحيله.

- وقد صدرت الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للشاعر في جزأين عن دار الفكر بدمشق في العام ٢٠٢٠ في طبعة أنيقة وفاخرة..، بجهودٍ حثيثةٍ ومشكورة تعبر عن الوفاء الكبير.. بذلها الأديب هاني أنور العطار.

وفي السيرة الذاتية للشاعر الراحل أنه كان دائم الحضور والمشاركة في

فعاليات مجمع اللغة العربية بدمشق منذ تأسيسه على يد الراحل الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله، عندما كان مقر المجمع في المدرسة العادلية المجاورة للجامع الأموي..

ومن المحطات اللافتة في حياة الشاعر أنور العطار أنه كان عريف حفل الاستقبال الذي أقامه مجمع اللغة العربية لأمير الشعراء أحمد شوقي عند زيارته لدمشق..

ومن الوقائع الجديرة بالذكر أيضًا أن مؤسس المجمع الأستاذ محمد كرد علي قد أقام حفلًا تكريميًا خاصًا لأربعةٍ من تلاميذه وهم أنور العطار، جميل سلطان، زكي المحاسني، وأبو سلمى عبد الكريم الكرمي، وذلك في العام ١٩٢٨ لنبوغهم وتفوقهم بين أقرانهم..، وفيما بعد خص الأستاذ محمد كرد علي شاعرنا الراحل بالمحبة والاهتمام وشجّع شاعرنا أنور العطار ودفعه ليكون أول طالبٍ في أول دفعةٍ في (مدرسة الأدب العربي العليا) في المعهد العلمي العربي بدمشق الذي تحول ليصبح الجامعة السورية، وكان رقم شهادة تخرجه منها الرقم / ٥/ كما ذكرنا..

حيث كان الشاعر أنور العطار ضمن الدفعة الأولى من المجازين أو الخريجين من تلك المدرسة في العام ١٩٣٢، مع كوكبة من السوريين واللبنانيين كان منهم: منير الريس وزكي المحاسني ووديع شحيّد وعبد الرحمن التكريتي وأنطون موسى ومُحْيي الدين قضماني ومحمد سعيد الأفغاني وأنور سلطان وجميل سلطان وعمر شخاشيرو وبهاء الدين عيسى وحلمي اللحام..

وكان أبرز أساتذة (مدرسة الأدب العربي العليا) الأساتذة الراحلون:

سليم الجندي وشفيق جبري وعبد القادر المبارك وعلي الجزائرلي والشيخ عبد القادر المغربي..

ولقد كرمت دمشق ابنها البار الشاعر أنور العطار بعد وفاته، فأطلقت اسمه على أحد شوارعها وإحدى مدارسها في حي القصور بدمشق تخليدًا لشعره وأدبه ونبوغه وعطائه..

ويجدر التنويه بما قامت به أسرة الشاعر أنور العطار في العام ٢٠١٨، بإهداء مكتبته المتميزة بكتبها ومخطوطها النفيسة إلى المكتبة الظاهرية بدمشق لتكون في متناول الأجيال والباحثين والدارسين..

لقد كان ديوان (علمتني الحياة) آخر ما نظمه الشاعر الكبير الراحل كما أسلفنا.. وهو يضم بين دفتيه رباعيات الشاعر أنور العطار، وهو موضوع هذه المحاضرة، حيث يتشرف اتحاد الكتاب العرب مشكورًا بتوزيع الطبعة الأخيرة لهذه الرباعيات التي صدرت ضمن سلسلة كتاب الجيب لمجلة (الموقف الأدبي)؛ وبهذه المناسبة نتوجه بالشكر العميق للدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب، والزميلة الأديبة فلك حصرية رئيس تحرير مجلة (الموقف الأدبي) وفريق الطباعة والنشر والتوزيع في الاتحاد لجهودهم المخلصة والمتميزة في استعادة ذكرى الشاعر الكبير الراحل وغرسها في أذهان أجيال الحاضر والمستقبل..

وقد تضمن ديوان (علمتني الحياة) مئة وخمسًا وسبعين رُباعية حيث تنتظم كُلَّ رُباعية فيها فكرةٌ واحدة، ويبدأ الشطر الأول في كلٍ منهما بعبارة (علمتني الحياة) أو (علمتني..)

وهي رباعيات تُمثل خلاصة تجربة الشاعر في الحياة من خلال تأملات

ورُؤىً فلسفية جمالية وأخلاقية، سنحاول ما أمكن تسليط الضوء عليها بما يسمح به الوقت، لما لها من قيمةٍ جماليةٍ وفكريةٍ فريدة تؤهلها لسكنى القلب والعقل والوجدان..

ومن وجهة نظري، الشاعر أنور العطار لم يأخذ حقه من الإضاءة على تجربته الشعرية الهامة والتي كانت تمثل في الواقع إسهامًا فريدًا في المشهد الشعري السوري المعاصر، الذي كانت بدايات تأسيسه وظهوره الفعلي في الثلث الأول من القرن العشرين، مع بروز العديد من الأسماء الهامة المؤسسة لذلك المشهد أمثال محمد الفراتي وعلي ناصر وبدوي الجبل وبدر الدين الحامد وشفيق جبري وخليل مردم بك ومحمد البزم وعمر يحيى ثم عمر أبو ريشة ونزار قباني وأنور العطار..

لقد تميزت تجربة شاعرنا الكبير الراحل أنور العطار بالرصانة إلى أبعد الحدود، فهو لم يكن يطرح نفسه في محافل الثقافة والصحافة على عكس الكثيرين من أقرانه الذين وجدوا في تلك المحافل سبيلًا للشهرة والنجومية، وهذه حقيقة في واقع الأمر، فكان حضور شاعرنا يقتصر على النشر في منابر رصينة، أو يترك الأمر لمبادرة تلك الجهات لمطالبته بنشر إبداعه..، فنلاحظ على سبيل المثال اختياره لمنبرين هامين لنشر قصائده أولهما مجلة (الرسالة) المصرية الذائعة الصيت، ثم مجلة (العربي) الكويتية الرصينة والواسعة الانتشار لحسن الحظ.

والحق أني لم أجد وصفًا ينصف شاعرنا أبلغ مما كتبه وأذاعه في إذاعة صوت العرب الشاعر المصري المعروف فاروق شوشة في مقالته التي نختار بعضًا مما ورد فيها والتي وضع لها عنوانًا:

(أنور العطار في رباعياته وظلال أيامه)

يقول الشاعر:

بين عامي ١٩١٣ و١٩٧٢ ولد وعاش (الشاعر السوري الكبير أنور العطار، أحد الأصوات الشعرية البارزة في سورية من أبناء جيله الذي يضم بدوي الجبل وعمر أبو ريشة، وإن كان لم تتح له شهرتُهما ودَوَران شعرهما على الألسنة والأقلام، بسببِ طبيعته الانعزالية وابتعاده عن المشاركة في صخب الحياة والناس، مكتفيًا بنشر قصائده في العديد من المجلات الأدبية، وفي مقدمتها مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات.

يقول الزيات عن العطار: «سورية التي أنجبت أبا تمام والبحتري وأبا فراس الحمداني وأبا العلاء المعري، لا تزال تلد الموهوبين من عباقرة الفن والفكر، لم تعقم بهم في أي زمن، ومن بينهم شاعرنا أنور العطار، وأصدقاء «الرسالة» لا يزالون يجدون في ذاكرتهم حلاوة ما نعموا به من روائع أدبه طوال عشرين سنة، وتمتعنا بما أنشده صاحب «ظلال الأيام» من شعر لم يقع في أذني مثله منذ رحيل شوقي، وأنا أعرف من نفسي أني بطيء التأثر بالشعر والغناء، فلا يهزني منهما إلا الرائع العالي الطبقة، فإذا طربت لما صور العطار من وجوه الأرض ومَجَالي الطبيعة في قصائده الغرِّ مثل: الوادي ولبنان ودمشق وبردى والخريف والمساء والظهيرة والبنفسجة، فالفضل للشعر الذي يملك الشعور، وللشاعر الذي يُنطِق الحجر، وأدب العطار مثلٌ صادقٌ للأدب السوريّ الحديث، وأكثر الصفات البلاغية انطباقًا عليه: الجزالةُ والسلامةُ والوضوحُ.

فهو يستصفي خلاصة خبرته مع الدنيا والناس، وجوهر تأمله في كل ما يحيط به من ظواهر الوجود ومظاهره، يختزل فيها نتاجَ تجربته الحياتية التي شاء الله أن تكون قصيرةً في عمر العبقرية، فقد عاش ما يزيد قليلًا على تسعة وخمسين عامًا، كما يقول ابنه وهو يشير إلى تراث الأدب العربي والآداب العالمية الأخرى، وبخاصة الأدب الفرنسي في منحاه الرومانسي، حيث تأثر كثيرًا بالشاعر لامارتين والشاعر ألفرد دي موسيه، وترجم نظمًا كثيرًا من أشعارهما، كما أشار في موضع آخر على التفات أنور العطار المبكر لشعر كلّ من أحمد شوقي والبحتري.

يقول شاعرنا في رُباعيته الأولى في مقدمته للديوان:

علّمتني.. وعلّمتني الحياةُ ... فامّحى الشكُّ وانجلتْ ظُلماتُ
وجّهتني بفضلها ورعتْني ... رِعْيةٌ أُفردت بها الأمهاتُ
فمن الشوق تنهلُّ العبراتُ ... ومن الحبِّ تنبعُ الذكرياتُ
فإذا فاضَ بالسّدَاد بياني ... قلتُ: هذا ما علّمتني الحياةُ

ثم يقول:

علّمتني الحياةُ أن من البسـ ... ـمةِ ما يملأُ الدياجيرُ نُورًا
فابتسم تشرقُ السماوات والأر ... ض انشراحًا وفرحةً وحُبورا
إنها النفسُ دمعةٌ وابتسامٌ ... فامْحُ سطر الأسى وخَلِّ السُرورا
وابتهج فالوجودُ يومٌ ويَمْضي ... ليس يُرجى لطِيْفهِ أن يزورا

* * *

علّمتني الحياةُ أن من الحا ... ضر ما يملأُ الفؤادَ سُرورا
فتمتَّع باليوم ما دُمتَ فيهِ ... لا تُكدر نعيمه تَكْديرا

وَدَعِ الأمسَ لا تحُمْ حول مثوا ... هُ ولا تُوقظِ النَؤومَ الغَريرا
وابتعد عن غَدٍ، فما هو منّا ... لا.. ولا نحن مِنْه، حتى يزورا

وفي قوله: فتمتع باليوم ما دمت فيه مُطابقةٌ مع قولِ عمر الخيّام في إحدى رباعياته:

واغنمْ من الحاضرِ لذّاتِهِ ... فليسَ في طَبْعِ الليالي الأمانُ

ثم يقول أنور العطار عن ساعة المغيب:

علمتني الحياةُ أن مغيبَ الشّمْـ ... ـس رمزٌ للنفس حينَ تغيبُ
حشرجاتٌ ملءَ الفضاءِ عصيا ... تٌ ودُنيا إذا انقَضّت لا تؤوبُ
وسكونٌ مُخيِّمٌ ينشرُ الرُّعْـ ... ـبَ ومرأى يُشجيكُ منه السُحوب

* * *

ويقول عن النسيان:

علّمتني الحياة أن من النِّسْـ ... ـيانِ ما يزدهي به النسيانُ
تتخفى الأرزاءُ في صدره الرّحْـ ... ـبِ وتُطوى الهموم والأحزانُ
هو أُنْسُ الساري إذا اعتكرَ اللَّيْـ ... ـلُ وغابت في صمتها الأكوانُ
وهو بُرءُ المجروحِ إن مضَّه الجُرْ ... حُ وعزَّ الأسى وجارَ الزمانُ

ويقول بعنوان «الدنيا حلمٌ»:

وتعلّمتُ أنّ دنياني حلمُ ... واغترارِي بها ضلالٌ ووهمُ
هي دارُ الشتات ما لاحَ نجمُ ... في حِماها، إلا تَغيَّبَ نجمُ
فكأنَّ الصفاءَ طيفٌ تولَّى ... وكأنَّ الهوى خيالٌ مُلمُ

أنور العطار شاعر دمشق أحب جمال طبيعة دمشق الفيحاء فاندمج فيها وتدفّق من بين أنامله شعر يشبهُ دمشقَ في رقتّها، فتميَّزَ وعرِف به حتى أصبحَ

من أبرز شعراء وصف الطبيعةِ الدمشقية جاعلًا من بساتينِ غوطتها ونهرها الخالد بردى أبطالًا لقصائده.

وقد وصفه العديد من الأعلام في الأدب والفن ومنهم خير الدين الزركلي الذي قال عنه: «هو شاعر رقيق من أدباء المدرّسين تميّز شعره بوصف الأزهار والحدائق وكان مغرمًا بهما فجاءَ شعرهُ موسيقي الإيقاع.

ويقول الأديب معروف الأرناؤوط صاحب جريدة (فتى العرب) عن قصائد الشاعر أنور العطار في عدد مجلته الصادر في آذار١٩٣١، وهي شهادة مبكرة عن نبوغ شاعرنا وتألّقه:

(هذه القطع الفريدة من الشعر، قبسَ (أنور العطار) ألوانها وأصبِغتَها من إحساسٍ رقيق يجيشُ في روحه، فإذا هي تطلعُ على الناس بالألوانِ والشذا كما يطلعُ الربيعُ بألوانهِ وعطوره)، فتى العرب (آذار ١٩٣١).

ولعل الطبيعة بصفتها البيئة المحيطة بتلك النفس الشاعرة..، كانت المحرّض الأبرز للكتابة عند شاعرنا المتميز بتأملاته الرصينة والعميقة وإحساسه المرهف بجماليات الطبيعة وتنوعها الجغرافي والزماني وتحولاتها التي تترك أثرها البالغ في الجماد والمتغير والكائنات.، ليترجمها يراعه المبدع إلى قصائد وأناشيد فيها الكثير الكثير من صورِ الجمال وبراعة التعبير عن الطبيعة وأحوالها وتماهي تلك التحولات مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانية..

وقد آثرت أن أورد أمثلة على تلك الحقيقة وذلك الهاجس بتأثير الطبيعة البالغ الواضح في المنجز الشعري للشاعر الكبير الراحل أنور العطار، لتكون شواهد حية يُقرُّ فيها الشاعر بما قرَّت به عيونه من جماليات الكون والطبيعة.. كما في المقاطع الشعرية التالية:

ففي واحدة من رباعياته بعنوان (سحر الطبيعة) يقول عن الحياة وما علّمته:

علَمتنـــي أنَّ الطبيعـــةَ سِـــفرٌ ملـــؤه فتنـــةٌ وســـحرٌ وشِـــعرُ
مـن تغنَّـى بشِـعرها أكبـرَ الشِـعر كـــأنَ الجمـــالَ شـــطرٌ وشـــطرُ
ملأتنـي شـذىً فَفَجَـري عبيـرٌ ومسـائي مُضـمَّخُ الـذيلِ عِطـرُ
وليـــاليَّ لا تســـلني عنهـــا والليـــالي فُتونُهـــا مُستَسَـــرُ

إن من يستغرق في العالم الشعري لأنور العطار يلاحظ قدسية الطبيعة بالنسبة إليه حتى لكأنه ناسكٌ في معبدها.

يقول في رباعيةٍ أخرى بعنوان (الطبيعة محراب):

علمتنـــي أنَّ الطبيعـــةَ محـــرا بٌ أنـاجي فـي قلبـه وأصـلّي
وأمنّـي نفسـي بخيـرِ السـماوا تِ كـأنّي عرفـتُ سِـرَّ التجلّـي
أتملّـى وجـهَ الطبيعـة جـذلا نَ وكـم يَفـتُنُ المُحِـبَّ التَّمَلّـي
هـي أَملَـت عليَّ أحلى الأناشيـ ـد ولمَّـا تَـزلْ تجـودُ وتُملـي

ويبرز السؤال: أيُّ طبيعةٍ تلك التي فُتن بها شاعرنا؟ ويأتي الجواب في رُباعيته التي كان بعنوان (أرضي الطيبة) التي يقول فيها:

علّمتنـــي الحيـــاةُ أنَّ حيـــاتي مُلكُ أرضي، عَزَّت على الدَّهرِ أرضي
مِـن ينابيعهـا تلقيّـت شـدوي.. مـن شَـحاريرها تعلَّمـتُ قَرْضـي

ويقول في رباعيةٍ بعنوان (التغني بالديار):

علّمتنـــي الحيـــاةُ أنْ أتغنّـــى بـديارِي واسـكبَ الـروح لحنًـا
هـي مهـد الصِّبا وعُـشُّ الأمـاني وأخـو الحـبِّ بالـديار مُعنّـى
مـرّ قلبـي علـى مرابعهـا الخضـ ـر فغنَّـى الريـاضَ غُصنًـا فغصنـا
وبـراهُ الهـوى فـذابَ حنينًـا ومـن الحـبِّ أن تـذوبُ وتغنـى

ولاشكّ أنَّ لتحولات الطبيعة وطقوسها ومواقيتها تجلياتٌ لافتةٌ وموحيةٌ بدلالات عميقة في نفس الشاعر الذي برهن في مواضع كثيرة على تفاؤله بشروق الشمس كلَّ صباح..، فيقول في (الفجر):

علمتني الحياة أنَّ من الفجرِ ابتسامًا ينسيكَ سِحرَ الثغورِ
لحظاتٌ تجمَّع الحُسْنُ فيها فغدتْ مبعَثَ الهوى والسرورِ
تلبَسُ الكائناتُ أجملَ ما حا كت يدُ الخالق البديع القدير

ويقول في رُباعيةٍ عنوان (الصباح):

علَّمتني أنَّ الصباحَ ائتلاقٌ وانبعاثٌ من الدجى وانطلاقُ
وجَهْهُ صِيغَ من صَفاءٍ وبِشْرٍ ولَكَم زانَ وجهَهَ الإشراقُ
مِلؤهُ جِدَّةٌ وشَدْوٌ وأُنسٌ ولقاءٌ لا يعتريه افتراقُ
إنْ أطلَّ الضّحى أطلَّ بهيًا مثلما تَسطَعُ الخدودُ الرِقاقُ

وأما الفضاءُ الآخر الجدير بالوقوف عنده في عالم أنور العطار الشعري فهو الجمالُ..، حيث تُمثل قصائدُ ومقطوعاتُ الشاعر المعنيةُ بموضوعاتِ الجمال، الجانبَ الأكثرَ إشراقًا في إبداعه، فهو مُصوِّر بارعٌ لصدى الجمال، والجماليات في الذات الشاعرة، وهو يحاكي ويوازي في مأثرته تلك تجاربَ صوفية عملاقة عرفها الشعرُ الإنساني على هذ الصعيد كتجارب حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وعمر الخيام وطاغور وغيرهم، وهنا نُسجل على نقادنا العرب تقصيرهم في إلقاء الضوء على تجربة ومنجز الشاعر أنور العطار التي لا تقل أهميةً أبدًا عن تجارب تلك الأسماء التي حظيت بشهرةٍ عالميةٍ واسعة في دنيا الأدب والشعر..

ويمكن للباحث والدارس أن يورد الكثير من أشعار العطار التي تؤيد

وجهة نظرنا هذه حيث تشكل الذاتُ الشاعرة مرآة حقيقة لجماليات الكون والوجود، وهنا يكمن دور الشاعر في الحياة ربما، عندما يقوم بتجسيد تلك الجماليات في قصائده التي تحفظ صورتها فضلًا عن إيصالها للمتلقي بل لأجيال المتلقّين لها عبر الزمنْ..، يقول شاعرنا في رباعية بعنوان (الجمال):

علّمتني أنَّ الجمالَ هو النو رُ لعينٍ تُميِّزُ الأشياءَ
طابَعُ الله قد تجلّى على الخلـ ـقِ فزانَ الحياةَ والأحياءَ
وهوى القلبُ بالذي فجّر القلـ ـبَ اشتياقًا ولوعةً وبكاءً
ما لآلي الفنونِ إلا عطايا ولولا الجمالُ لكانت هباءَ

ولعل أبرزً ما يلفت انتباه الشاعر في جماليات الكونِ والطبيعةِ من حوله تجلياتُ الربيع أجملِ الفصول في تحوَلات الزمن والحياة، وكيف لا وهو ابن دمشق بغوطتها الساحرة؟..

يقول في رُباعيةٍ له بعنوان (الاحتفاء بالربيع):

علّمتني أنَّ الربيعَ شفاءٌ ويَدٌ مِلؤُها الندى.. بيضاءُ
يحتفي القلبُ بالربيعِ إذا حلَّ، وللقلبِ بالربيعِ احتفاءُ
تتغنّى بهِ الطبيعةُ جَذْلى وبأَفيائِه يطيبُ الغناءُ
وشبابُ الزمان شعر وسحرٌ وعبيرٌ وفرحةٌ وصفاءُ

إن الدراسة المتفحصة لرباعيات الشاعر أنور العطار تشير إلى أن شاعرنا تحدث في أكثر من نصفها عن الطبيعة، ليؤكد حقيقةً معروفةً وراسخة في أن الطبيعة كانت دائمًا في طليعة الأسباب الملهمة للشعراء على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم وتنوع أغراضهم وإبداعهم كما أن الحكمة والتأملات الفلسفية في الحياة والعلاقات الإنسانية كانت موضوع ربع عدد

تلك الرباعيات..، كما لاحظنا من خلال ما قرأناه منها..

ففي موضوعة الطبيعة شغلت مفردات الأرض والسماوات والشمس والقمر والظل والنور مساحات تعبيرية لافتة في لغة الشاعر، حث قام بتوظيفهما بحرفيةٍ عاليةٍ وموحية..

وأما في مجال الحكمة والتأملات فقد أبدع الشاعر أبياتًا ففي سياق تلك الرباعيات يصلح كلُّ بيتٍ منها لأن يكون حكمة تندرج على الألسنة ويلهج بها كل إنسان رصين ذي تجربة في هذه الحياة..

وهو في بعض تلك الأبيات يعبر عن ذلك التماهي بين الطبيعة وحياة الإنسان، كما في قوله في رباعية بعنوان: «ساعة المغيب»:

علمتني الحياة أنّ مغيب الشمـ ـس رمزٌ للنفسِ حين تغيبُ

وفي رباعيته (الناس كالنار) يقول:

فاعتزلت الأنام أي اعتزال فانجلت ليلتي ولاح النهارُ

وفي رباعيته بعنوان (الصِبا) يقول:

علمتني أن الصّبا زهر جفَّ، وحُلْمٌ سرى، وطيفٌ تولّى

وفي رباعية بعنوان (الرضا) يقول:

ما بقائي إلا الظلال على الأر ضِ ويا شَدّ ما تغيبُ وتُنعى!

وبها يجسد الحكمة والعبرة المستفادة من الحياة يقول في رباعيته (التسامح):

علّمتني أن التسامح روضٌ لذَّ مجنىً وطابَ زرعًا وغرسًا

والحكيم الحكيم من خالط النا س فأغضى طرفًا وسامح نفسًا

وبذات الروح السامية التي تدعو للتسامح والعفو والغفران لأصحاب

الذنوب.. يقول في رباعية بعنوان (العفو أشد أنواع الانتقام):

علمتني الحياة أن أغفر الذنـ ـب وآسى لمن أساء اعتبارا
حسبه أنه تسربل بالدا ء طويلًا وحُمّل الأوزارا
علمتني أن التسامح سرّ يملأ النفس رفعةً واقتدارًا
والكريمُ الكريم من جعل العفـ ـوَ من الناس ديدنًا وشعارًا

وفي دعوة لأن يسود الحب والوفاء يقول في رباعيته (العهد):

علمتني أن الوفاء بعهدي هو سؤلي على الليالي وقصدي
فحمدت الموفين بالعهد حمدًا وقليلٌ لهم ثنائي وحمدي
وتعلمت أن أصون هواهم وهواهم ريحانة الخلد عندي
أيُّ معنى للعيش إن لم يزنه جوهرُ الحب من وفاءٍ ووُدِّ

إن التأملات في جماليات طقوس الطبيعة وتقلباتها التي نلحظ روعة وصفها في رباعيات أنور العطار وفي الكثير من قصائده في بقية دواوينه، تشبه في جوانب كثيرة منها تأملات الشاعر الهندي (رابندرانات طاغور)، ربما لأنهما ينتميان إلى حضارات شرقية تعشق وتقدس الجمال فضلًا عن طبيعة متنوعة تعرف تعاقب الفصول كلها.. وترتبط مع المعتقدات بدلالات ومشاعر وانطباعات، ووجه التشابه هذا بين شاعرنا العربي أنور العطار وشاعر الهند طاغور يشكل مادة خصبة وجميلة للمختصين في الأدب المقارن، وقد لاحظت أوجه التشابه والتقاطع هذه من خلال ترجمات الأديب السوري الكبير الراحل الدكتور بديع حقي لأعمال طاغور، وخاصة ترجماته لإبداعات طاغور المشهورة مثل (دورة الربيع) و(شتيرا) و(البستاني) و(جني الثمار) و(اليراعات)..، ومن خلال مقال هام بعنوان (الفصول الأربعة في أغاني

طاغور) لـ(أنورا داروي) ترجمة هدى كيلاني، حيث يتجلى التشابه بين طاغور والعطار بشكل خاص عند تناولهما لمعاني ودلالات الخريف والربيع..

ولعل الفارق الجوهري بين تجربتي العطار وطاغور، هو أن طبيعة شخصية أنور العطار كانت تميل إلى الهدوء والعزلة والتأمل بصمت وتجسيد إبداعه في قصائد رصينة صامتة، بينما كان طاغور يجسد إبداعه في قصائد ذات نبرة صوتية مسكونة بالحوار، حيث تحولت نسبة كبيرة من قصائده إلى أغنيات ونصوصٍ مسرحية..، وذلك ناجم عن اختلاف البيئة ونمط العيش بين الشاعرين الكبيرين..

لقد كان شاعرنا فيلسوفًا يُشهد له في مسيرة حياته وتأملاته الإنسانية العميقة لجوهر الحياة ومعاني الوجود وتجليات الخلق في جماليات ذلك الوجود في كل ما يتعلق بالكون والطبيعة والمخلوقات والإنسان، تشهد على ذلك صياغاتُه الفلسفية في كل بيتِ شعرٍ خطَّهُ يراعَهُ مُترجِمًا لرؤية أو إحساس أو تأمل في معاني الوجود ومراميه السامية والنبيلة، فاستحق أن يكون بجدارة في مرتبة الشعراء الفلاسفة الذين استطاعوا (وهم القلة القليلة بين أقرانهم الشعراء) أن يسبروا مجاهل الخلق وأغوار الأحاسيس ويعبّروا عبر إبداعهم عن أسمى ما يميز ذلك الكائن الإنسان في دنيا أبدع الخالق فيها من الجماليات ما يصعبُ الإحاطة به أو رسمُ صوره الكاملة..، الأمرُ الذي أُتيحَ للشعراء والفنانين العباقرة ملامسته من زوايا رؤاهم لتلك الجماليات ورصد بعض معالمها لتكون مظهرًا من مظاهر الحضارة الإنسانية..

* * *